بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الخميس ٩ شعبان ١٤٣٩ هـ / ٢٦ نيسان ٢٠١٨ م العدد ١٨٠

نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

تأصيلات في الفقه الاجتماعي

المرجع اليعقوبي يتشرف بزيارة مشهد الامام الرضا (عليه السلام)

قام سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) بزيارة لمشهد الامام الرضا (عليه السلام) استغرقت أربعة أيام، وقد تشرف سماحته بتنظيف الغبار من داخل الضريح المطهر للإمام (عليه السلام) صباح يوم الثلاثاء ٢٣ رجب ١٤٣٩ برفقة سماحة السيد ابراهيم رئيسي (دامت بركاته) الأمين العام للعتبة الرضوية الشريفة.

كما قام سماحته بزيارة مجمع البحوث الإسلامية، ومقر إدارة الحوزات العلمية في خراسان واطلع على هيكلية هذه المؤسسات واقسامها وفعالياتها واصداراتها وحث على تبادل الحوزات المؤسسات خلال عدة عقود من عملها لتكون بمستوى المسؤوليات المناطة بها.

والتقى (دام ظله) بسماحة السيد احمد علم الهدى (دامت بركاته) إمام جمعة مشهد، كما التقى بسماحة السيد رئيسي في مكتبه في العتبة الرضوية المقدسة، وسادت اللقاءات نقاشات علمية متنوعة.

ووصل سماحته (دام ظله) مطار النجف بفضل الله تعالى ظهر يوم الجمعة ٢٦ رجب ١٤٣٩ المصادف ١٣ / ٤ / ٢٠١٨ فشكرا لله تعالى على ما أنعم.

دور الدين في بناء المجتمع الصالح (١)

عشنا فترة في أيام النظام البائد بلغت الذروة في محاربة الدين والسخرية والاستهزاء من المتدينين فقد كانوا يصفونهم بالتخلف والرجعية والعمالة للإمبريالية وكانت النساء أكثر عرضة لتميز المتدينة بالحجاب وقد أثرت هذه الحرب الشرسة فقل عدد المتدينين خصوصا بين الشباب وأغلقت الكثير من المساجد والحسينيات أبوابها. وفي مثل هذه الأجواء جمعت سيارة اجرة صغيرة رجل دين مع أحد هؤلاء المهوسين بالسخرية من الدين وراكبين آخرين، وكان هذا المغفل سليط اللسان سيء الالفاظ فأراد أن يستهزئ برجل الدين على طريقته الخاصة، فأخذ يسأل الركاب عن مهنهم فأجاب الأول بأنه عامل والثاني بأنه مهندس فأثنى عليهما وأشاد بدورهما في إعمار البلاد وتقدمها ثم التفت إلى عالم الدين وسأله فأجابه بأنه يعلم الناس الحلال والحرام وما عليهم أن يفعلوا ويتجنبوا ويدلهم على مكارم الاخلاق واجتناب الفحشاء والمنكر فضحك هذا المغرور ساخرا وقال: يا شيخ: اتركوا الناس على حالهم ولا تتدخلوا في شؤونهم وليفعلوا ما يشاؤون بحرية، فلم يجبه عالم الدين.

وحينذاك اصطدمت السيارة بأخرى وسقط من على سقفها صندوقان مملوءان بالفاكهة لهذا المغرور فتناثرت الفاكهة وتجمع الناس ونهبوا هذه الفواكه، والرجل المغفل يصيح بهم ويطالبهم بإرجاع الفواكه ولا أحد يصغي إليه وهنا تدخل عالم الدين ووعظ الناس وحذرهم من أكل لقمة الحرام وسوء عاقبة الظلم وأمرهم بإعادة الحق إلى صاحبه فأثرت الموعظة فيهم واعادوا ما بأيديهم، وعرضوا دفع ثمن ما أكلوا منها وساعدوا صاحبها على جمع المتناثر منها وهنا وجه العالم كلامه للمستهزئ: أعلمت الآن ما هي وظيفتنا فخجل الرجل واعترف بخطأه واعتذر.

هذا جانب من دور الدين في حياة الانسان وهو توجيهه إلى عمل الخير والالتزام بالأخلاق الفاضلة ومنعه من الظلم والعدوان وتجنب الرذائل والفحشاء والمنكر، قال تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ (النحل: ٩٠)، فهل يريد الانسان العاقل السوي غير هذه؟ فلماذا النفور من الدين؟

فعلى جميع أولياء الأمور في الاسرة والمدرسة والجامعة والمسجد ووسائل الاعلام وسائر مرافق الحياة أن يحثوا الناس على الالتزام بالدين لتستقيم الحياة وتتخذ شكلها الحضاري والإنساني السامي.

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من المدرسين والتربويين ووجهاء ناحية الفجر الذين زاروا سماحته لتقديم الشكر على تبرعه بتكاليف انشاء صفوف دراسية لأبنائهم ضمن حملة واسعة لتعمير المدارس وتجهيزها وتزويد الطلبة بالكتب يوم ٢٢ رجب ١٤٣٩ المصادف ٩ / ٤ / ٢٠١٨

تأصيلات في الفقه الاجتماعي

أثار سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) خلال لقاءاته مع بعض العلماء الاعلام في الجمهورية الإسلامية في إيران مؤخرا قضية الفقه الاجتماعي وضرورة الاهتمام به، مما دعا مجلة الفقه والمجتمع وموقع الاجتهاد الالكتروني إلى اجراء الحوار (٢) التالي مع سماحته:

١. ما معنى الرؤية الاجتماعية في الفقه؟ يمكن أن يراد بالرؤية الاجتماعية في الفقه أكثر من معنى:

أ. ان يكون المخاطب بالحكم الشرعي والمكلف به المجتمع وليس الفرد يعني ان الفقيه ينظر إلى الأمة ويجعلها نصب عينيه عند استنباط الحكم الشرعي وليس الفرد، فأننا نعتقد ان للأمة كيانا ووجودا يولد وينمو ويموت ولها أحوال متباينة من الصلاح والفساد والانحطاط والازدهار، وتصلح أن تتعلق بها الاحكام الشرعية المناسبة لها. والمتتبع للآيات الكريمة والاحاديث الشريفة يجد مثل هذه الخطابات، كقوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١١٠) وقوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١٠٤) وقوله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (التوبة: ١٢٢) اما الروايات الشريفة فهي كثيرة ومن القرائن على كون التكليف (اجتماعيا) إناطته بلفظ (الامام) وهو يعني ولي الامر والفقيه المتصدي لولاية الأمور العامة للأمة. وقد لا يكون المخاطب بالتكاليف كل الأمة بل شريحة معينة منها كفقه الأطباء أو المعلمين أو النساء أو الرياضة أو العمال أو القضاة وغير ذلك وقد اصدرنا كتبا كثيرة حتى في (تجارة المواد المستعملة) التي راجت في العراق في تسعينات القرن الماضي بسبب الحصار.

ب. أن تصاغ الرؤية الإسلامية على نحو نظريات وأنظمة وقوانين وليس على أساس مسائل شرعية مفككة، على النحو المعروف في الرسائل العملية للفقهاء وحينئذ سنتعرف على النظام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والأخلاقي والقانوني والجنائي والدولي وغير ذلك للإسلام ويطلق البعض على هذا التوجه عنوان (فقه النظرية).

٢. كيف تعرّفون الفقه الاجتماعي؟ وهل هو ناسخ للفقه الفردي المتعارف؟

في ضوء ما قلنا آنفا فان الفقه الاجتماعي ليس بديلا عن الفقه الفردي وإنما يكون مكملا له ويغطي مساحة أخرى لا يتناولها بناء على المعنى الأول أو أنه يؤسس عليه ويعيد ترتيبه بناء على المعنى الثاني، يعني ان الفقيه يستنبط أولا المسائل على النهج المتعارف في الفقه الفردي ثم يجمع شتاتها ويعيد ترتيبها ليدون الفقه الاجتماعي فيضم كتاب النكاح والطلاق والوصايا والحجر وأمثالها ليؤلف النظام الاجتماعي ويجمع كتب الخمس والزكاة والوقف ونحو ذلك ليؤلف النظام المالي.

٣. كيف يتصف الفقه أو الفقيه بوصف (الاجتماعي)؟

لا يكون الفقيه (اجتماعيا) الا بعد أن يكون (فرديا) أي بعد أن ينال درجة الاجتهاد وفق الآليات المتعارفة في الحوزات العلمية، لأن الاستنباط في الفقه الاجتماعي نوع من التخصص في إعمال ملكة الاجتهاد فهو فقيه متخصص والمعروف أن التخصص في أي مجال علمي كالطب مثلا يأتي بعد نيل أصل الملكة والقدرة على ممارسة المهنة. وهذا التخصص يحتاج إلى أدوات إضافية كالخبرة بالواقع المعاش والمعرفة بالعلوم المرتبطة بهذا التخصص ويكون مصداقا للحديث الشريف عن الامام الصادق (عليه السلام) (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس) (٣) ولكي يبدع في عمله فأنه يحتاج إلى مستشارين ومراكز بحثية ترفده بالبيانات التي تنقح الموضوعات التي يريد النظر فيها.

٤. اساسا هل كان في الفقه رؤية اجتماعية منذ التكوين ونشوئه حتى الآن؟

لم تغفل النصوص عن الأمة ـ كأمة ـ في خطابها ولم ينفك الفقه الفردي الموجود عن جانبه الاجتماعي وكل ما نحتاجه إعادة قراءة النصوص الشرعية والفقهية برؤية جديدة ومن زاوية اخرى وتقديمها بصياغة جديدة. وفي هذا الاطار فقد دعوت في بعض ابحاثي (٤) إلى إعادة تسمية الواجبات (الكفائية) بالواجبات (الاجتماعية) بعد أن كتبت بحثا مفصلا في حقيقة الوجوب الكفائي المعروف لدى الأصوليين والفقهاء وانتهيت إلى ان التقسيم إلى عيني وكفائي هو من خصائص الواجب وليس الوجوب الذي حقيقته واحدة فيهما معا، وميزة الواجب الكفائي عن العيني انه موجه إلى الأمة كأمة وليس كأفراد فالأولى تسميته بالواجب الاجتماعي، مضافا إلى ما سببه مصطلح الكفائي من تقاعس واتكالية ولا مبالاة. واعترضت مرارا على كلمتهم المشهورة (لا مشاحة في الاصطلاح) لأن الاصطلاح ومفهوم الشيء والفكرة هو الأساس الذي يبنى عليه العمل وينطلق منه، وهذا مثال عليه، ومن تطبيقاته ما حصل لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من اتكالية أدت إلى ضياع الفريضة أو شللها بسبب شروط الوجوب التي ذكرها الفقهاء انطلاقا من النظرة الفردية ولو نظر إلى الفريضة من زاوية اجتماعية لما بقي وجه لتلك الاشتراطات.

فإذن الفقه الاجتماعي ـ على المعنى الأول ـ موجود في اذهان الفقهاء وفي ما سطروه من كتبهم تحت عنوان الواجبات الكفائية كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلاة الجمعة والدعوة إلى الله تعالى والتبليغ والإصلاح الاجتماعي والتصدي للعمل السياسي وإقامة احكام الله تعالى في الأرض وقد رتبت عليه وجوب المشاركة في الانتخابات لتمكين القيادة الصالحة ونحو ذلك. أما المعنى الثاني للفقه الاجتماعي فإنه يشيّد على أساس الفقه الفردي وقد بذلت خلال العقود الثلاثة الأخيرة محاولات جادة في تقديم نظريات الإسلام على هذا الأساس ورأينا نتاجا مثمرا ومثيرا للفخر والاعتزاز في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والقانونية والاجتماعية. ولعل السر في تأخر علماء الامامية في ولوج هذا المجال هو اقصاؤهم عن الحكم وإدارة الدولة والمجتمع وتعرضهم للبطش والاضطهاد من الحكومات المتعاقبة مما ولد لديهم شعورا بأن من العبث الخوض في مثل هذه المجالات واقتصروا على بيان تكاليف الأفراد.

٥. يعتقد البعض بأنه لا معنى لتحميل الفقه أعباء المسؤولية الاجتماعية، ويقتصر دوره على بيان الاحكام الفردية.

اعتقد ان الفقه الاجتماعي ضرورة حضارية لأننا نفاخر الأيديولوجيات والنظم الأخرى بأن الإسلام هو الأصلح لقيادة البشرية وانه النظام الأكمل والمستوعب لكل حاجات الناس في كل الأزمنة وله القدرة على مواكبة التغيرات، وهذا كله يتطلب تقديم الإسلام كنظام يدير شؤون الحياة في جوانبها المتعددة، وهذا لا يكفي فيه النمط المتعارف في الرسائل العملية، بل علينا أن نقدمه كأنظمة ونظريات وقوانين تقنع الآخرين بما عندنا ولا تتركنا عاجزين عن مجاراة الأمم في إدارة شؤونها.

ومن يستقرئ النصوص الشريفة يجد فيها اهتماما بالغا بالواجبات الاجتماعية قياسا بالفردية كقول الامام علي (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول (إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام) (٥) والآية الكريمة ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة: ٦٧) حيث جعلت نصب القيادة الحقة ـ وهي من الواجبات الاجتماعية ـ في كفة واحكام الرسالة كلها في الكفة الأخرى. وقد كتبت عدة رسائل لبيان هذه الحاجة الملحة وبعثتها إلى السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في عام ١٩٨٥م وحثثته على ولوج هذا المجال ووضعت هيكلية مفصلة لترتيب الرسائل العملية للفقهاء وفق هذه الرؤية وأجاب برسائل مفصلة نشرت كلها في كتاب (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه).

٦. ما هي آليات الاستنباط في الفقه الاجتماعي؟ وهل تكفينا الآليات الرائجة؟

بنظرة أولية اجمالية نقول: تشترك آليات الاستنباط الفقه الاجتماعي مع الفردي في الأصول العامة للفقه لكن قد يختفي فيه بعضها كالاحتياط اذ لا معنى لمخاطبة الأمة بالاحتياط وقد تبرز بعض المباني بقوة كدليل حفظ النظام الذي يستند إليه الفقهاء كثيرا لكنه لم

التتمة في الصفحة الرابعة

(٢) حرز الحوار يوم الجمعة ٣ شعبان ١٤٣٩ الموافق ٢٠ / ٤ / ٢٠١٨ بركة الميلاد الميمون للإمام الحسين (عليه السلام)، محيي اعظم الواجبات الاجتماعية: الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حسن الاتفاق ان محاضرة القاها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) بعنوان الأسس العامة للفقه الاجتماعي كانت بنفس الذكرى عام ١٤٢٢ / ٢٠٠١ وهي منشورة في موسوعة (خطاب المرحلة: ١ / ٢١٥).

(٣) تحف العقول: ٢٥٩ (٤) راجع كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من موسوعة فقه الخلاف وكتاب (حقيقة الوجوب الكفائي). (٥) أمالي الطوسي المجلس ١٨: ٥٢٢ ح ١١٥٤ البحار ٤٢: ٢٦.

(٦) راجع كتابنا (فقه المشاركة في السلطة) وكتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) وسائل الشيعة: ٩ / ٥٤٩، ح ١٢ (٨) نهج البلاغة: ١ / ٤٦

﴿فاذكروني أذكركم﴾ (٩) (البقرة: ١٥٢)

تشريف وتكريم من الخالق العظيم لعباده بأن يقرن ذكره بذكرهم ويباد لهم الذكر فيذكرهم اذا ذكروه ومن دعاء للإمام السجاد (عليه السلام) (إلهي انت قلت وقولك الحق (فاذكروني اذكركم) فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفا لنا وتفخيما واعظاما، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا فأنجز لنا ما وعدتنا يا ذاكر الذاكرين) (١٠)، بينما لا يطمع الانسان في ان يذكره إنسان ضعيف عاجز مثله وهو يعشقه ويصفق له ويلهج باسمه ويلهث وراءه ويدافع عنه وربما يضحي من اجله والآخر لا يعرفه ولا يقيم له وزنا فشتان بين المعبودين!.

والمراد بذكر الله تعالى عبده اذا ذكره منحه العطاء الخاص وترتيب الأثر المناسب والا فان الله تعالى لا يغفل عن عباده ولا يهملهم وهم يتقلبون بنعمه دوما ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ (الحديد: ٤) وهذا العطاء الخاص له اشكال عديدة ويتناسب مع نوع الذكر لان ذكره لله تعالى يجعله مؤهلا لنزول البركات والمنن والعطايا، ففي حديث نبوي شريف في تفسير الآية (اذكروني يا معاشر العباد بطاعتي اذكركم بمغفرتي) (١١) والطاعة تشمل الواجب والمستحب، والمغفرة تشمل محو الذنوب المقترفة أو عصمة العبد ووقايته من الوقوع في غيرها.

أو يذكره الله تعالى بالرحمة اذا ذكر ربه بالطاعة قال تعالى ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ (آل عمران: ١٣٢).

وفي حديث آخر عن النبي (صلى الله عليه وآله) (اذكروني بالطاعة والعبادة اذكركم بالنعم والإحسان والراحة والرضوان) (١٢) أو يذكر ربه بالشكر فيذكره بزيادة النعم ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (إبراهيم: ٧) او اذكروني بالدعاء لأذكركم بالإجابة ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ (غافر: ٦٠) او اذكروني في الدنيا لأذكركم في الآخرة، او اذكروني في عالمكم الصغير لأذكركم في العالم الكبير ونحو ذلك مما ورد في الاحاديث الشريفة، ففي الحديث النبوي الشريف قال الله تعالى ﴿انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت إليه ذراعا) (١٣).

وفي الحديث الآخر عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (قال الله عز وجل ذكره: لا يذكرني أحد في نفسه الا ذكرته في ملأ من ملائكتي ولا يذكرني في ملأ الا ذكرته في الرفيق الأعلى) (١٤).

ولذا يحظى ذكر الله تعالى بأهمية كبيرة ومن الأسباب القوية لبلوغ الكمالات، وفي الحديث الشريف (أحب الاعمال الى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله) أي يكون الانسان في ذكر مستمر حتى اذا فاجأه الموت كان لسانه رطبا بذكر الله تعالى وفي حديث آخر عنه (صلى الله عليه وآله) (ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها) وروى عنهم (عليهم السلام) (إن في الجنة قيعانا، فاذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار فربما وقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: إن صاحبي قد فتر، يعني عن الذكر) (١٥).

وروى في عدة الداعي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج على أصحابه فقال (ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما رياض الجنة، قال مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فان الله تعالى ينزل العبد حيث انزل العبد الله من نفسه، واعلموا أن خير اعمالكم عند ملكيكم وازكاها وارفعها في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى فإنه أخبر عن نفسه فقال: انا جليس من ذكرني).

وفيه ايضا عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (قال سبحانه اذا علمت أن الغالب على عبدي الاشتغال بي نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فاذا كان عبدي كذلك وأراد أن يسهو حلت بينه وبين ان يسهو، اولئك اوليائي حقا، أولئك الابطال حقا، أولئك الذين اذا اردت أن أهلك اهل الأرض عقوبة ذويتها عنهم من أجل أولئك الابطال).

والأصل في الذكر حضور المعنى في القلب وتأثيره في الجوارح وليس مجرد تحريك اللسان به وان كان هذا لا يخلو من ثمرة طيبة، لكن المطلوب حصول تلك المراتب روى في كتاب المعاني عن ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال (الا أحدثك بأشد ما فرض الله تعالى على خلقه؟ قلت: بلى، قال: انصاف الناس من نفسك ومواساتك لأخيك وذكر الله في كل موطن، اما اني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كل موطن اذا هجمت على طاعته او معصيته). فتتخذ الموقف الذي يرضي الله تعالى في كل تلك المواطن.

وفي الحديث النبوي الشريف (من اطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن) (١٦). وهذا يبين لنا بوضوح المقياس الذي يعرف به الذكر والذاكر وعدم الاكتفاء بالحركات الخارجية، وعلى هذا فالذكر له مصاديق واسعة تشمل كل الطاعات، ومنها طلب العلم والحضور في مجالس الوعظ والإرشاد وحلقات العلم.

هذا الرصيد الضخم الذي يكتسبه الانسان بالذكر يمكن ان يفرط به ويضيعه بسبب ارتكابه بعض الحماقات غفلة او انسياقا وراء اهواء النفس ففي الحديث الشريف (من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال لا اله الا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال الله اكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش يا رسول الله إن شجرنا في الجنة لكثير قال نعم ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها وذلك إن الله عز وجل يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ (محمد/٣٣) (١٧). وهذه النيران يمكن أن تكون الغيبة أو الحسد أو الظلم أو انتقاص وإهانة الآخرين أو التقصير في القيام بعمل إنساني كان قادرا عليه.

وعلى الانسان ان يتجنب كل ما يلهيه عن ذكر الله تعالى ويشغله عنه من أمور الدنيا واتباع الشهوات والاهواء قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ (المنافقون: ٩) وهو ما يبتغيه شياطين الانس والجن ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ (المائدة: ٩١) فيقع الانسان في الغفلة الموجبة للبعد عن الله تعالى والوقوع في المعاصي، روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله (ليس في المعاصي أشد من اتباع الشهوة فلا تطيعوها فتشغلكم عن الله) (١٨) وعنه (عليه السلام) قال (كل ما الهى عن ذكر الله فهو من ابليس) (١٩).

وينبغي الالتفات إلى ان هذه الملازمة بين ذكر الله تعالى وذكر العبد قد تكون سلاحا ذا حدين فتكون العقوبة على من يعصي الله تعالى وهو ملتفت وذاكر مضاعفة، ففي الدر المنثور عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال (فمن ذكرني وهو مطيع فحق علي أن اذكره بمغفرتي، ومن ذكرني وهو لي عاص فحق علي ان أذكره بمقت).

وفي نفس المصدر (أوحى الله تعالى داود قل للظلمة لا يذكروني فان حقا علي اذكر من ذكرني وإن ذكري إياهم أن العنهم).

(٩) الكلمة التي القاها سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على طلبة جامعة الامام الباقر (عليه السلام) في النجف الأشرف بحضور ادارتها وأساتذتها يوم الجمعة ١٢ رجب ١٤٣٩ المصادف ٢٠ / ٤ / ٢٠١٨

(١٠) بحار الانوار: ٩٤ / ١٥١ ح ٢١ (١١) الدر المنثور: ١ / ١٤٨ (١٢) عدة الداعي (١٣) اخرجه في الدر المنثور عن أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان. (١٤) نفس المصدر عن الطبراني.

(١٥) بحار الانوار: ٩٢ / ٦٢ ح ٤٢ (١٦) الدر المنثور: ١ / ١٤٩ (١٧) بحار الأنوار: ٩٣ / ١٦٨ ح ٣ (١٨) غرر الحكم: ٧٥٢٠ (١٩) ميزان الحكمة: ٢ / ٢٥٦ عن تنبيه الخواطر: ٢ / ١٧٠

العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس .. الحاجة إلى مراكز البحوث والدراسات التخصصية (٢٠)

روى في تحف العقول عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله (العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس) (٢١) أي لا تدخل عليه الشبهات ولا تلتبس عليه الأمور ولا تختلط عليه الأوراق كما يقال ولا يضطرب، بل يكون على بصيرة من أمره، والمقصود بزمانه أي أهل زمانه أو أحوال زمانه بتقدير مضاف، وليس المعرفة بنفس الزمان المتكون من ساعات الليل والنهار.

والحديث مطلق لا يختص بفئة أو شريحة وإنما كل من له معرفة بزمانه يكون هكذا، وفي الحقيقة فان المعرفة بأحوال الزمان وأهله مطلوب من كل عاقل ذي بصيرة ففي كتاب الكافي بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال (في حكم آل داود على العاقل أن يكون عارفا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه) (٢٢) أي يكون ملتفتا لإصلاح نفسه ومحاسبتها وتحليتها بالفضائل وتنقيتها من الرذائل، حافظا للسانه عن اللغو والباطل.

هذا ولكن ضرورة هذه المعرفة والحاجة إليها تزداد كلما ازدادت مسؤولية الفرد، لذا كان العلماء المتصدون لقيادة الأمة وإرشادها وهدايتها وإصلاحها أولى بتحصيل هذه المعرفة، لأن التباس الأمور على العالم واضطرابها ينافي تماما وظيفته الإلهية، وهذا ما وصف به أمير المؤمنين (عليه السلام) إمرة الذين تقمصوا الخلافة قبله، قال (عليه السلام) (فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها أي جرحها ـ ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فمني الناس ـ لعمر الله بخبط ـ أي سير بغير هدى ـ وشماس ـ أي صعوبة وعسر وتلون واعتراض ـ أي السير عرضا بدل الامام. ويمكن أن نفهم الحديث على نحو الشرط أي لا يكون العالم عالما حقيقة حتى تكون له معرفة بزمانه، أو نفهمه على نحو النتيجة أي من ثمرات العلم المعرفة بالزمان، والثاني يؤدي إلى الأول لأن معرفة الانسان بالزمان تكون كاشفة عن كونه عالما حقيقة والا فلا.

وعلى كلا التقديرين فالحديث صريح في أن تحصيل العلوم المقررة لا تكفي لصدق عنوان العالم الذي تناط به مسؤولية هداية الناس وإصلاحهم مالم تكن له بصيرة في تقلبات الزمان وتغيراته وعدم استقراره على حال، ومن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك (أعرف الناس بالزمان، من لم يتعجب من أحداثه) (٢٣) لأنه لا يتفاجأ بشيء منها لإحاطته بها.

وان يمتلك فطنة ورؤية ثاقبة بأحوال الناس واكتشاف أخلاقهم وصفاتهم ليتمكن من تمييز الصديق عن العدو والمؤمن من الفاسق والأمين من الخائن، والصالح من الطالح ليحدد طريقة التعامل مع كل منهم بما يناسبه ويضع كلا منهم في موضعه المناسب، فيقرب هذا ويبعد ذاك، ويحمل هذا مسؤولية محدودة، وذاك أوسع منها، ويأخذ بكلام هذا ولا يأخذ بكلام ذاك.

ولذا قرنت جملة من وصايا المعصومين (عليهم السلام) بين هذه المعرفة وكيفية التعامل مع الآخرين ففي حديث آخر (عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق اخوانه) (٢٤) وفي وصية الامام أمير المؤمنين لولده الحسن (عليه السلام) (يا بني انه لابد للعاقل من أن ينظر في شأنه فليحفظ لسانه وليعرف أهل زمانه) (٢٥). محل الشاهد ان العلوم التي نتلقاها في الحوزة العلمية لا تكون لدينا هذه المعرفة، نعم هي تزودنا بالأدوات والوسائل والرؤية ومنهج التعامل، من هنا تبرز الحاجة لرفد الحوزة العلمية بمراكز البحوث والدراسات في شتى المجالات حيث تتخصص كل جماعة بأحد الحقول، فان العالم بمفرده لا يستطيع تحصيل هذه المعرفة، والإحاطة بكل القضايا التي تتطلب منه مواقف ومعالجات وحلولا، واذا كان وجود مثل هذه المراكز يعتبر حالة شاذة في الأزمنة السابقة وتجهض مثل هذه المشاريع قبل ولادتها، فأن البيئة اليوم تساعد عليها بل وجد عدد منها بفضل الله تعالى، والمطلوب المزيد منها.

(٢٠) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع مدير ورؤساء أقسام وأعضاء مركز الامام الصادق (عليه السلام) للبحوث والدراسات التخصصية في النجف الاشرف يوم الأربعاء ١٢ / رجب / ١٤٣٩ المصادف ٤ / ٤ / ٢٠١٨ وتحدث سماحته بنفس المضمون بعد أسبوع الثناء لقائه بمدير ورؤساء أقسام مجمع البحوث الإسلامية في العتبة الرضوية المقدسة في مشهد. (٢١) تحف العقول: ٢٥٩ (٢٢) أصول الكافي: ٢ / ١١٦ باب الصمت وحفظ اللسان، ح ٢٠ (٢٣) غرر الحكم: ٢٣٥٢ (٢٤) الكافي: ج ٢ / ص ٤٩

(٢٥) بحار الأنوار: ج ٦٨ / ص ٣٢٩

تتمة تأصيلات في الفقه الاجتماعي

يحظ بالتقنين المناسب له، وقاعدة نفي العسر والمشقة وتقديم الأهم على المهم من الملاكات وسيشيّد عندنا فقه المصالح والمفاسد.

وسنجد ـ عند البحث عن مباني الفقه الاجتماعي ـ دليلا على العمل بمسلك سد الذرائع في حدوده المرسومة شرعا. وستعاد قراءة النصوص وفق تغيرات الزمان والمكان وسيظهر بقوة دور الاحكام الولائية أي الصادرة بمقتضى ولاية الفقيه ضمن حدود الصلاحيات الممنوحة له (٦). واذكر لك كمثال الاطروحة التي قدمتها في بحث مفصل عن مسألة حرمان الزوجة من العقار المشهورة لدى الامامية وقلت فيها انه حكم ولائي صدر من الامام (عليه السلام) بصفته ولي الأمر لمصالح سياسية واجتماعية ذكرتها هناك فيكون استمراره منوطا بامضاء ولي الأمر الفعلي وله نسخه.

أو فتوى منع زيادة نسبة الفائدة عند بيع الدولار بالدينار إلى أجل معين عن ٣٪ التي اعتمدتها وفاقا لأستاذنا الشهيد السيد الصدر الثاني (قدس سره) بينما لم يحدد الفقهاء الآخرون نسبة معينة لأنها (تجارة عن تراض) بينما انطلقنا نحن من ملاكات اقتصادية يعرف أهل السوق آثارها التدميرية لو لم نحدد النسبة.

وحينئذ سنحتاج أيضا إلى وضع قواعد حل التعارض بين التكليف الفردي والاجتماعي والعلاقة بينهما وهل هي على نحو التزاحم فيقتضي تقديم الأهم ـ وهو الاجتماعي ـ على المهم؟ أم انه على نحو الحكومة فيكون التكليف الاجتماعي حاكما على الفردي لأنه من العناوين الثانوية الحاكمة على الأولية. مثلا لو اضطررنا لفتح طريق أو توسيع الحرم المقدس لحصول ضرر ومشقة على الناس ورفض بعض الناس بيع املاكهم الشخصية الواقعة عليه فيصدر الفقيه (الاجتماعي) حكما بالبيع وتسليم الثمن إلى المالكين رغم امتناع المالك، اما الفقيه (الفردي) فيحرم التصرف بهذه الأملاك دون رضا المالك لأنها مغصوبة.

أو مصادرة بعض الحريات الشخصية لحفظ الأمن العام ومنع وقوع الفتنة والفساد ونحو ذلك. وفي ضوء هذا الفقه سنقيد إطلاق قوله (عليه السلام) (من احيا ارضا من المؤمنين فهي له) (٧) بما لا يضر بمصالح البلاد ويمنع من ظاهرة الاقطاع التي استعبدت الفلاحين وصادرت حقوقهم، فلا يكفي الاحياء للتملك الا بإذن الفقيه الجامع للشرائط وما دام الاحياء والحيازة من دون إذن ولي الأمر فله انتزاع الأرض من محييها، ولذا أطلقها أمير المؤمنين (عليه السلام) صريحة مدوية من أول أيام بيعته بالخلافة (الا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل ما أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فان الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج بها النساء وملك به الاماء لرددته) (٨).

٧. ما هي وجهة نظركم في مستقبل علاقات الفقه والمجتمع؟

اعتقد ان الفقه الاجتماعي فرض نفسه على أروقة الحوزات العلمية وقد استجابت حوزات الجمهورية الإسلامية في ايران أكثر من النجف الأشرف لأسباب عديدة لسنا بصدد بيانها، مع ان النجف الأشرف كانت سباقة لمواكبة التحديات ولنا شواهد على ذلك بتأليف الميرزا النائيني لكتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) تضمن تأصيلا وابداعا في الفقه السياسي وكان ذلك قبل أكثر من مئة عام ومعالجة الشيخ حسين الحلي للمسائل الاقتصادية المستحدثة كأعمال البنوك والتأمين على الحياة والعملات الورقية مطلع الستينيات من القرن الماضي وطبعت تقريراته